

بقلم
الشيخ أحمد فريد

قدمه
الشيخ محمد إسماعيل

الناشر

دار العلوم الإسلامية
المهندسين . القاهرة

دار البخاري
بريدة . السعودية

يناير ١٩٩٠م = جمادى الآخرة ١٤١٠هـ

دَارُ الْعُلُومِ الإِسْلامِيَّةِ
٢٦ شارع الجارحى - أرض اللواء - المهندسين - القاهرة - خلف مسجد الرحمة ت : ٦٢٤٤٢٣

Dar El Olom El Islami
26 El Garhey St,. Ard El Lwaa El Mohandseen Cairo
Tel: 624423

دَارُ الْبُخَارِي
الجامعة الاسلامية - المدينة المنورة تليفون ٨٢٦٧٠٦٨
القصيم - بريده - صندوق بريد ٨٩١ . تليفون ٣٢٣٦٠١٧ فاكس ٣٢٤٣٦١٨

Dar El Bokhry
Islamic University El Madina El Monawaraa Tel: 8267068
El Kaseem - Brida Box: 981 Tel: 3236017 Fax: 3243618

مقدمة الشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل

الحمد لله صاحب المنة فى حب الله ورسوله، لقد ظهرت آلاؤه فى من يحبهم ويحبونه، والصلاة والسلام على سيد المحبوبين فى النشأتين. وعلى آله الذين ورثوه فى محبة الثقلين، وعلى أصحابه الذين تمكنت بينهم أواصر المحبة فى الله وعلى من تبعه من المؤمنين الذين بلغوا المعالى فى الإخلاص فلم يحبوا ولم يبغضوا إلا لله.

أما بعد : فإن التحابَّ فى الله تعالى ، والأخوة فى دينه من أفضل القربات ، وألطف ما يستفاد من الطاعات فى مجارى العادات ولها شروط يلتحق بها المتصاحبون بالمتحابين فى الله تعالى وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الأخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان ، فبالقيام بحقوقها يتقرب إلى الله زلفى ، وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى .

وهذا الكتاب الذى وفق الله صاحبه أخى فى الله/ أحمد فريد لجمعه وترتيبه قد حوى من فضائل الأخوة فى الله وشروطها وحقوقها وآدابها ، ما تقر به أعين المتحابين، وتهنأ به نفوسهم وتستقيم به مودتهم ، أسأل الله العظيم ربَّ العرش الكريم أن ينفع به النفع التام العميم، وأن يُعظم أجر صاحبه فى الدنيا وفى جنات النعيم، بصحبة من هو بالمؤمنين رؤوف رحيم ، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

كتبه

محمد أحمد إسماعيل

الإسكندرية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م

تمهيد

الحمد لله الذى ألف بين قلوب أوليائه ؛ فأصبحوا بنعمته إخوانا ، ونزع الغل من صدورهم ؛ فصاروا فى الدنيا أخدانا وفى الآخرة خِلانا . وأشهد أن لا إله إلا الله ، شهادة أرجو لصاحبها رحمة ورضوانا ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ﷺ وعلى آله وأصحابه ، الذين اتبعوه قولا وفعلا وعدلا وإحسانا .

وبعـــد ...

فإن التحاب فى الله تعالى والأخوة فى دينه من أفضل القربات ، وألطف ما يستفاد من الطاعات فى مجارى العادات ، ولها شروط يلتحق بها المتصاحبون بالمتحابين فى الله تعالى ، وبالقيام بحقوقها يتقرب إلى الله زلفى ، وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى . قال الله تعالى مظهرا عظيم فضله ومنته على رسوله ﷺ والمؤمنين : ﴿ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبهم لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الأنفال : ٦٣]

قال ابن مسعود رضى الله عنه : هم المتحابون فى الله .

وفى رواية : نزلت فى المتحابين فى الله . رواه النسائى والحاكم فى مستدركه وقال صحيح .

وعن ابن عباس قال : إنَّ الرحم لتقطع ، وإن النعمة لتكفر ، وإن الله إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء ثم قرأ : ﴿ **لَوْ أَنفَقْتَ مَافِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ** ﴾ **الآية** رواه الحاكم أيضا .

قال أبو عمرو الأوزاعي : حدثني عبدة بن أبي لبابة عن مجاهد ولقيته فأخذ بيدي فقال : إذا التقى المتحابان في الله فأخذ أحدهما بيد صاحبه وضحك إليه ، تحاتت خطاياهما ، كما تحات ورق الشجر .

قال عبدة فقلت : إن هذا ليسير . فقال : لا تقل ذلك ؛ فإن الله يقول : ﴿ **لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعَاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ** ﴾ الآية .

قال عبدة : فعرفت أنه أفقه مني .

وعن عمير بن إسحق قال : كنا نتحدث أن أول ما يرفع من الناس الأُلفة .

ومما ابتلي به أهلُ هذا الزمان ، ضعف الترابط والإخاء ، وقلة المودة والمحبة في الله عز وجل ، فلا يصحب الأخ أخاه إلا لعلة دنيوية ، ولا يبغضه كذلك إلا لعلة دنيوية ، ولم يكن ذلك من هدى السلف الصالح رضي الله عنهم، فقد كانوا لا يصحبون أحداً إلا إذا علموا رضا الله تعالى منه ، ولا يحبون أحداً ولا يبغضونه لعلة دنيوية ، وفي الحديث : « من أحبَّ لله وأبغض لله ، وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان »(١) .

(١) رواه أبو داود (٤٦٥٦) السنة وقال المنذري وفي إسناده القاسم بن عبد الرحمن وقد تكلم فيه غير واحد ، وله شاهد من حديث معاذ بن أنس الجهني أخرجه أحمد (٤٤٠/٣) والترمذي (٣٢٣/٩) صفة القيامة وقال الترمذي : هذا حديث حسن ورواه البغوي في شرح السنة (٥٤/١٣) وقال المحقق : وإسناده قوي .

ولاشك فى أن الأخوة الإيمانية مقدمة على أخوة الرحم ، ورابطة الإيمان أقوى من رابطة النسب ؛ قال الله عز وجل : ﴿ **لَا تَجِدُ قَوماً يُؤْمِنُونَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ يُوآدُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إخْوَانَهُمْ أو عَشِيرَتَهُمْ** ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

وقال عز وجل : ﴿ **وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْض** ﴾ . [التوبة : ٧١] .

قال بعضهم :

وَأَحبِبْ لَحُبِّ الله مَنْ كَانَ مُؤْمِناً
وَأَبْغِضْ لِبغُضِ الله أَهْلَ التَّمَرُّدِ
وَمَا الدِّينُ إلَّا الحُبُّ وَالبغضُ وَالوَلا
كَذاك البرا من كلِ غـاوٍ ومُعْتَدى

قال ابن رجب رحمه الله(٢) :

ومن تمام محبة الله محبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه ، فمن أحبَّ شيئاً مما كرهه الله ، أو كره شيئا مما يحبه الله ، لم يكمل توحيده وصدقه فى قوله لا إله إلا الله ، وكان فيه من الشرك الخفى بحسب ما كرهه مما أحبه الله ، وما أحبه مما يكرهه الله .

وقال ابن القيم رحمه الله(٣) :

من أحبَّ شيئا سوى الله ، ولم تكن محبته له لله ، ولا لكونه معينا له على طاعة الله ، عذب به فى الدنيا قبل اللقاء .

---

(٢) نقلاً عن كتاب موارد الظمآن لعبد العزيز السلمان (٧١٥/١) .
(٣) موارد الظمآن (٧١٨/١) .

كما قيل :

أَنْتَ القَتِيلُ بِكُلِّ مَنْ أَحْبَبْتَهُ
فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ فِى الهَوَى مَنْ تصطفي

ومما يدل على أن الأخوة الإيمانية مقدمة على أخوة الأرحام ، أنه إذا مات مسلم ولم يكن له إلا ولد كافر ، فقد أجمع العلماء على أنه لا يرثه ، ويعود ماله إلى بيت مال المسلمين .

وقد مَثَّل النبى ﷺ أهل الإيمان بالجسد الواحد فقال ﷺ : « مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه ، تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر »(٤) .

فينبغى أن يكون المجتمع المسلم كالجسد الواحد ، يسعد بسعادة بعض أعضائه ويتألم لألمه .

فما أسعد هذا المجتمع الذى تقاربت قلوب أعضائه ، وتماسك بهذه الرابطة القوية رابطة الحب فى الله ، يسعى كل فرد فيه لسعادة بقية إخوانه ، ويفرح لفرحهم ، ويحزن لحزنهم .

كان الصحابة رضى الله عنهم إذا رأى أحدهم أخاه يبكى ، بكى لبكائه ثم يسأله بعد ذلك عما كان يبكيه .

ذاقوا بهذه المحبة حلاوة الإيمان ، كما قال النبى ﷺ : « ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون اللهُ ورسولهُ أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يُحبَّ المرءَ لا يُحبُّه إلا لله ، وأن يكره أن يعود

---

(٤) رواه البخارى (٤٣٨/١٠) الأدب ، ومسلم (١٤٠/١٦) البر والصلة .

فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار »[٥] .

وبهذه المحبة أيضا انكسرت تحت قوة إيمانهم وترابطهم شوكة الكفر ، وانزاحت قوى الشرك .

وبهذه المحبة أيضا التى أظلتهم يظلهم الله تعالى تحت ظل عرشه يوم القيامة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى يوم القيامة يقول : أين المتحابون بجلالى ، اليوم أظلهم فى ظلى ، يوم لا ظل إلا ظلى »[٦] .

وبهذه المحبة التى جمعت بين قلوبهم يجمعهم الله عز وجل فى فردوسه الأعلى فكما اجتمعوا فى محبته وطاعته فى الدنيا يجمعهم الله فى جنته فى الآخرة عن أبى موسى قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يارسول الله الرجل يحبُّ القومَ ولم يلحق بهم . فقال : « المرء مع من أحبَّ »[٧] .

وإنى بعون الله وفضله ومنته ، أُذَكِّرُ بهذه الكلمات نفسى وإخوانى بفضيلة هذه العبادة ، وموقعها من شعب الإيمان ، وأُذَكِّرُ كذلك بصفات من يختار للصحبة والمحبة ، مع بيان حقوق الإخوان ، والله تعالى المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله الملك الديان .

---

(٥) رواه البخارى (٦٠/١) الإيمان . ومسلم (١٣/٢) الإيمان . وقال النووى رحمه الله : والحبُّ فى الله من ثمرات حبِّ الله قال بعضهم : المحبة مواطأة القلب على ما يرضى الرب سبحانه ، فيحب ما أحب ويكره ما كره .

(٦) رواه مسلم (١٢٣/١٦) البرُّ والصلة والبغوى فى شرح السنة (٤٩/١٣) ورواه مالك فى الموطأ . وقال النووى : « المتحابون بجلالى أى بعظمتى وطاعتى لا للدنيا » .

(٧) رواه البخارى (٥٥٧/١٠) الأدب ،ومسلم (١٨٨/١٦) البر والصلة ، والحديث متواتر كما قاله ابن كثير رحمه الله .

ولا أنسى أن أشكر لأخى فى الله الشيخ محمد بن أحمد ابن إسماعيل، يده البيضاء علىَّ فى هذه الرسالة وفى غيرها ، ولولا أنى أعلم أنه يكره منى ذلك لأطلت ذيل الكلام ، والله يغفر لى ، ويجزيه عنى وسائر إخواننا خير الجزاء .

وهذا أوان الشروع فيما أردناه ، فنقول وبالله تعالى نَصُولُ ونَجُولُ .

أسباب الألفة والمحبة

قال فى الإحياء[٨] :

ائتلاف القلوب أمر غامض ، فإنه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة فى صورة ، ولا حسن فى خَلْقِ وخُلُقٍ، ولكن لمناسبة باطنة توجب الألفة والموافقة ، فإن شبه الشيء ينجذب إليه بالطبع ، والأشباه الباطنة خفية ، ولها أسباب دقيقة ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها ، عبر رسول الله ﷺ عن ذلك حيث قال : « الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ »[٩] .

قال البغوى رحمه الله[١٠] :

فى الحديث بيان أن الأرواح خلقت قبل الأجساد ، وأنها مخلوقة على الائتلاف والاختلاف ، كالجنود المجندة إذا تقابلت وتواجهت ، وذلك على ما جعلها الله عليه من السعادة والشقاوة ، ثم الأجساد التى فيها الأرواح تلتقى فى الدنيا فتأتلف وتختلف ، على حسب ما جعلت عليه من التشاكل والتناكر فى بدء الخلق ، فترى البرَّ الخَيِّرَ يحب مثله ، والفاجر يألف شكله ، وينفر كل من ضده .

---

(٨) إحياء علوم الدين ص ٩٣٢ بتصرف .

(٩) رواه البخارى (٣٦٩/٦) الأنبياء : باب الأرواح جنود تعليقا ورواه متصلا فى الأدب المفرد ، ومسلم (١٨٥/١٦) البر والصلة : باب الأرواح جنود مجندة .

(١٠) شرح السنة (٥٧/١٣) .

قال بعض الحكماء : كل إنسان يألف إلى شكله ، كما أن كل طير يطير مع جنسه ، وإذا اصطحب اثنان برهة من زمان ، ولم يتشاكلا فى الحال فلابد أن يفترقا كما قال الشاعر :

وَقَائِلٍ كَيْفَ تَفَارَقْتُمَا فَقُلْتُ قَوْلاً فِيه إنْصَافُ
لَمْ يَكُ مِن شَكْلِى فَفَارَقْتُهُ وَالنَّاسُ أَشْكَالٌ وَأُلَّافُ

فمن أسباب المحبة عموما ، التوافق والتناسب والتشاكل فى الأمور الظاهرة والباطنة ، وهى قد تكون لله ، وقد لا تكون ، بحسب هذه الأوصاف المتناسبة .

والمحبة فى الله عز وجل ثمرة من ثمرات محبة الله عز وجل ، فإذا قوى حب العبد لله ، أثمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله ، فى علم أو عمل ، وأثمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله ، من خلق حسن أو تأدب بآداب الشرع .

وما من مؤمن محب للآخرة ومحب لله ، إلا إذا أخبر عن حال رجلين ، أحدهما عالم عابد ، والآخر فاسق جاهل ، إلا وجد فى نفسه ميلاً إلى العالم العابد ، ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف إيمانه وقوته ، وهذا الميل حاصل إذا كانا غائبين ، بحيث يعلم أنه لا يصيبه منهما خير ولا شر ، فى الدنيا ولا فى الآخرة ، فذلك الميل هو حب فى الله ولله من غير حظ ، فإذا قوى حمل على الموالاة والنصرة والذب بالنفس والمال واللسان ، ويتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم فى حب الله عز وجل ، ولو كان الحب مقصوراً على حظ ينال من المحبوب فى الحال والمآل لما تصور حب الموتى من العلماء والعباد ، ومن الصحابة والتابعين بل من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وحبُّ جميعهم مكنون فى قلب كل مسلم متدين .

والمحبة فى الله فضل من الله عز وجل ، وعد به عباده المؤمنين فى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا** ﴾ [مريم : ٩٦] .

قال ابن كثير رحمه الله[١١] : يخبر تعالى أنه يغرس لعباده المؤمنين ، الذين يعملون الصالحات ، وهى الأعمال التى ترضى الله عز وجل لمتابعتها الشريعة المحمدية - يغرس لهم فى قلوب عباده محبة ومودة ، وهذا أمر لابد منه ولا محيد عنه ، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ ، ثم أورد حديث أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إِذَا أَحَبَّ اللهُ العَبْدَ قَالَ لِجِبْرِيل : قَدْ أَحْبَبْتُ فُلَاناً فَأَحِبَّهُ ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ يُنَادِى فى أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَاناً فَأَحِبُّوه ، فَيُحِبُّه أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ »[١٢] . الحديث .

وكتب أبو الدرداء إلى مسلمة بن مخلدٍ : سلام عليك أما بعد ، فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله ، فإذا أحبه الله حببه إلى عباده ، وإن العبد إذا عمل بمعصية الله أبغضه الله ، فإذا أبغضه بَغَّضَهُ إلى عباده .

وعن هرم بن حيان قال : ما أقبل عبد بقلبه إلى الله ، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين عليه ، حتى يرزقه مودتهم .

فالله عز وجل هو الذى يؤلف بين قلوب المؤمنين المتشابهة فى خصال البر والخير ؛ كما قال تعالى : ﴿ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ** ﴾ [الأنفال : ٦٣] .

---

(١١) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (١٣٩/٣ ، ١٤٠) دار المعرفة .
(١٢) رواه مسلم (١٨٣/١٦ ، ١٨٤) البر والصلة ، والبخارى (٤٦١/١٠) فى الأدب ، ورواه مالك فى الموطأ . (٩٥٣/٢).

ثم تكون هذه الألفة والمحبة بمقدار ما فى هذه القلوب من الإيمان فإن الحب فى الله عز وجل شعبة من شعب الإيمان، يزيد بزيادته وينقص بنقصانه ، والعبد يرى ذلك بالاستقراء من نفسه، فعند زيادة إيمانه بالله عز وجل إذا داوم على طاعة الله عز وجل يحس أن محبته لإخوانه الذين يحبهم فى الله عز وجل فى زيادة، وإن كان فى فترة ونقص إيمان بغفلته وذنوبه، يحس أن محبته لإخوانه كذلك فى نقصان، ويشهد لما أقول ماأخبر به النبى ﷺ : «ما تحاب رجلان فى الله تبارك وتعالى إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه»(١٣) .

فنسأل الله القوى المتين أن يؤلف بين قلوب عباده المؤمنين الدَّاعين إليه عز وجل ، وسائر المؤمنين ، وأن يجمع كلمتهم على الحق المبين ، إنه ولى ذلك والقادر عليه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

---

(١٣) رواه البخارى فى الأدب المفرد (٦٣٧/١) باب إذا أحب الرجل أخاه فليعلمه ، والبغوى فى شرح السنة (٥٢/١٣) وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبى .

فضل المحبة فى الله عز وجل

قال الله عز وجل : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا** ﴾ [مريم : ٩٦]

أى مودة ومحبة فى قلوب أوليائه ولولا فضل هذه المودة ما وعد الله بها عباده المؤمنين .

وقال عز وجل متمنناً بفضله على هذه الأمة : ﴿ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فى الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الأنفال : ٦٣]

وقال عز وجل فى وصف أصحاب النبى ﷺ ورضى الله عنهم أجمعين مادحاً لهم : ﴿ **أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الفتح : ٢٩]

ومدح الأنصار بحبهم للمهاجرين فقال عز وجل وهو أصدق القائلين : ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّؤا الدَّارَ وَالإِيْمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِم وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوْتُوا وَيُؤْثِرُوْنَ عَلَى أَنفُسِهِم وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ . [الحشر : ٩]

فهذه بعض أدلة الكتاب الكريم على فضيلة هذه العبادة ، والسنة الصحيحة تبشر المتحابين فى الله بما تقرُّ به أعينهم ، وتنشرح به صدورهم ، ويزداد به حبهم لربهم عز وجل ، وفى ربهم عز وجل ، تبشرهم بظل عرش الرحمن ، وتبشرهم بمحبة ربهم عز وجل ، وتبشرهم بأن وجوههم فى الآخرة نور ، وبأنهم على منابر من نور ، لا يفزعون إذا فزع الناس ، ولا يخافون إذا خاف الناس ، وتبشرهم بصحبة من تقرّ أعينهم بصحبته ، وتسعد قلوبهم برؤيته فى وقت تنقلب فيه كل محبة لغير الله إلى عداوة ومشاقة كما قال الله عز وجل : ﴿ **الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴾ [الزخرف : ٦٧] .

ويزيدهم الله عز وجل طهارة إلى طهارتهم ، وسعادة إلى سعادتهم قال تعالى : ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ** ﴾ [الحجر : ٤٧]

وهذه باقةٌ طيبة طاهرة من الأحاديث النبوية فى ثواب المتحابين فأحضر لها قلبك حتى تسعد بقراءتها، وبشِّر بها من تحبه فى الله عز وجل ويحبك ؛ لعلها تكون سببا للمزيد من المحبة فى الله عز وجل والقيام بحقوقها :

• عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى يوم القيامة يقول : أين المتحابون بجلالى ؛ اليوم أظلهم

فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى »(١٤) .

• وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سبعة يظلهم الله فى ظله » وذكر فيهم « ورجلان تَحَابَّا فِى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه »(١٥) .

• وعن أبى إدريس الخولانى أنه قال : دخلت مسجد دمشق فإذا فتى براقُ الثنايا ، وإذا الناس معه إذا اختلفوا فى شىء أسندوه إليه ، وصدروا عن رأيه ، فسألت عنه فقيل : هذا معاذ بن جبل ، فلما كان الغد هَجَّرتُ ، فوجدته قد سبقنى بالتهجير ، ووجدته يصلى ، قال : فانتظرته حتى قضى صلاته ، ثم جئته من قبل وجهه ، فسلمت عليه ثم قلت : والله لأحبك لله ، فقال : آلله ! فقلت : الله ، فقال : آلله ، فقلت : الله وأخذ بحبوة ردائى فجبذنى إليه وقال : أبشر ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تبارك وتعالى : وجبت محبتى للمتحابين فِىَّ ، والمتجالسين فِىَّ ، والمتزاورين فِىَّ والمتباذلين فِىَّ »(١٦) .

• وعن أبى مالك الأشعرى قال : كنت عند النبى ﷺ فنزلت عليه هذه الآية : ﴿ **يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ** ﴾ [المائدة : ١٠١] قال : فنحن نسأله إذ قال : « إن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم

---

(١٤) رواه مسلم (١٢٣/١٦) البر والصلة : فضل الحب فى الله ومالك فى الموطأ (٩٥٢/٢) فى الشعر والبغوى فى شرح السنة (٤٩/١٣) .

(١٥) رواه البخارى (١٤٣/٢) الأذان وكذلك فى الزكاة والرقاق ، ومسلم (١٢١/٧ ، ١٢٢ ، ١٢٣) الزكاة ، والترمذى (٢٣٦/١٠ ، ٢٣٧) الزهد والنسائى (٢٢٢/٨ ، ٢٢٣) .

(١٦) رواه مالك (٩٥٣/٢ ، ٩٥٤) وإسناده صحيح ، وصححه الحاكم (١٦٨/٤ ، ١٦٩) على شرط الشيخين - شرح السنة (٥٠/١٣) .

من الله يوم القيامة » قال : وفى ناحية القوم أعرابى فجثا على ركبتيه ورمى بيديه ، ثم قال : حدثنا يارسول الله عنهم من هم ؟ قال : فرأيت فى وجه النبى ﷺ البِشْرَ ، فقال النبى ﷺ : « هم عباد من عباد الله من بلدان شتى ، وقبائل شتى من شعوب القبائل لم تكن بينهم أرحام يتواصلون بها ، ولا دنيا يتباذلون بها ، يتحابون بروح الله ، يجعل الله وجوههم نوراً ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قُدَّام الناسِ ، ولا يفزعون ، ويخاف الناس ولا يخافون »(١٧) .

• وعن أبى هريرة : عن النبى ﷺ أن رجلا زار أخا له فى قرية أخرى ، فأرصد الله له ملكا على مَدْرَجَتِهِ ، فلما أتى عليه ، قال : أين تريد ؟ قال : أخا لى فى هذه القرية ، قال : فهل له عليك من نعمة تَرُبُّهَا ؟ قال : لا . إلا إنى أحبه فى الله عز وجل ، قال : فإنى رسول الله إليك : « إن الله أحبَّك كما أحببته فيه »(١٨) .

• وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « من سره أن يجد طعم الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله »(١٩) .

---

(١٧) رواه أحمد (٣٤١/٥ ، ٣٤٣) والبغوى فى شرح السنة (٥١/١٣) وقال محققه : وشهر بن حوشب مختلف فيه وله شاهد بنحوه من حديث ابن عمر أخرجه الحاكم فى المستدرك (١٧٠/٤ ، ١٧١) وصححه وأقره الذهبى وآخر من حديث أبى هريرة عند ابن حبان فى صحيحه (٢٥٠٨) وإسناده صحيح .

(١٨) رواه مسلم (١٢٣/١٦ ، ١٢٤) البر والصلة : فضل الحب فى الله قوله : « فأرصد الله على مدرجته » قال النووى معنى أرصده أقعده يرقبه المَدْرَجَةُ هى الطريق سميت بذلك لأن الناس يدرجون عليها أى يمضون ويمشون . قوله « عليك من نعمة تربها » أى تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك .

(١٩) رواه أحمد (٢٩٨/٢) والطيالسى (٢٤٩٥) والحاكم (٤/١) ، (١٦٨/٤) وصححه ووافقه الذهبى ورواه البغوى فى شرح السنة (٥٣/١٣) وحسنه المحقق وقال الهيتمي فى المجمع ورجاله ثقات (٩٠/١) وحسنه الألبانى فى الجامع رقم ٦١٦٤ .

• وعن أنس أن رجلا سأل النبى ﷺ فقال : يانبى الله متى الساعة ؟ فقال : ما أعددت لها ؟ فقال : أحبُّ الله ورسولَهُ ، فقال له : « المرءُ مع مَنْ أَحَبَّ » .

قال أنس : فما رأيت المسلمين فرحوا بشىء مما فرحوا يومئذٍ .(٢٠) .

• وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أكمل المؤمنين إيمانا أحاسنهم أخلاقا ، الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » (٢١) .

• وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « إذا عاد المسلم أخاه أو زاره ، قال الله تبارك وتعالى : طبت وطاب ممشاك وتبوأت فى الجنة منزلا » (٢٢) .

---

(٢٠) رواه البخارى (١٠/٥٥٣) الأدب ، ومسلم (١٦/١٨٥ ، ١٨٦) البر والصلة قال النووى رحمه الله : فيه فضل حب الله ورسوله ﷺ والصالحين وأهل الخير الأحياء والأموات ومن فضل محبة الله ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما والتأدب بالآداب الشرعية ولا يشترط فى الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم إذ لو عمله لكان منهم ومثلهم وقد صرح فى الحديث الذى بعد هذا بذلك فقال : « أحب قوماولمَّايلحق بهم » .

(٢١) قال فى مجمع الزائد (٨/٢١) رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير وفيه يعقوب ابن أبى عباد القلزمى ولم أعرفه وقال الألبانى : « أخرجه الطبرانى فى معجمه الصغير (١٢٥) ومن طريقه أبو نعيم فى « أخبار أصفهان » (٢/٦٧) وقال فى يعقوب بن إسحاق بن أبى عباد ، نسب إلى جده ، قال ابن أبى حاتم (٤/٢٠٣) « محله الصدق لا بأس به » ووثقه السمعانى فثبت الإسناد والحمد لله وقد جاء مجموع الحديث فى أحاديث متفرقة . الصحيحة رقم ٧٥١ .

(٢٢) رواه أحمد (٢/٣٣٦) ورواه الترمذى (٨/١٧٠) وقال هذا حديث حسن غريب ورواه ابن ماجه (١٤٤٣) والبغوى فى شرح السنة (١٣/٥٨) وقال المحقق : فى سنده أبو سنان وهو لين الحديث ومع ذلك فقد صححه ابن حبان (٧١٢) وقوله : « طبت » قال الطيبى : هو دعاء له بأن يطيب عيشه فى الدنيا « طاب ممشاك » كناية عن سيره وسلوك طريق الآخرة .

الآثـــــار :

• روى عن على رضى الله عنه أنه قال : عليكم بالإخوان فإنهم عدة فى الدنيا والآخرة ، ألا تسمع إلى قول أهل النار ﴿ **فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ** ﴾ [الشعراء : ١٠٠ ، ١٠١]

• وروى عن ابن السماك أنه قال عند موته : اللهم إنك تعلم أنى إذا كنت أعصيك ، كنت أحب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لى إليك .

• وعن الحسن قال : يا ابن آدم لا يغرَّنَّك قول من يقول المرء مع من أحب ، فإنك لن تلحق بالأبرار إلا بأعمالهم ؛ فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم قال الغزالى رحمه الله: وهذه إشارة إلى أن مجرد المحبة من غير موافقة فى بعض الأعمال أو كلها لا ينفع قلت : والصحيح ما نقلناه آنفا عن النووى رحمه الله وأن مجرد المحبة تنفع صاحبها .

من يختار للمحبة والصحبة

قال القَرَافى[٢٣] :

« ما كل أحدٍ يستحق أن يعاشر ولا يصاحب ولا يسارر » .

وقال علقمة : اصحب من إن صحبته : زانك ، وإن أصابتك خصاصة عانك وإن قلت سدد مقالك ، وإن رأى منك حسنة عدها ، وإن بدت منك ثلمةٌ سدَّها ، وإن سألته أعطاك ، وإذا نزلت بك مهمة واساك ، وأدناهم من لا تأتيك منه البوائق ، ولا تختلف عليك منه الطرائق .

ويقول الشيخ أحمد بن عطاء[٢٤] : مجالسة الأضداد ذوبان الروح ، ومجالسة الأشكال تلقيح العقول ، وليس كل من يصلح للمجالسة يصلح للمؤانسة ، ولا كل من يصلح للمؤانسة يؤمن على الأسرار ، ولا يؤمن على الأسرار إلا الأمناء فقط .

ويكفى فى مشروعية التحرى لاختيار الأصدقاء قوله ﷺ : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل »[٢٥] .

---

(٢٣) نقلاً عن كتاب زلال قراح الألباء فى مهيع حكماء الأدباء ص ٦ لمحمد بن عبد الله بن هاشم الموريتانى . مكتبة المعرفة .

(٢٤) أدب الدنيا والدين للماوردى ص (١٤) نقلا عنه نفائس الحلة – مكتبة المنار الإسلامى .

(٢٥) رواه أبو داود (٤٨١٢) الأدب ، والترمذى (٢٣٧٩) الزهد والحاكم (١٧١/٤) ، وأحمد (٣٠٣/٢ ، ٣٣٤) والبغوى فى شرح السنة (٧٠/١٣) وقال حسن غريب وحسنه الترمذى وصححه النووى – انظر هامش (٧٠/١٣) شرح السنة .

قال الأوزاعى : الصاحب للصاحب كالرقعة للثوب ، إذا لم تكن مثله شانته .

قيل لابن السماك : أى الإخوان أحق بإبقاء المودة ؟ قال : الوافر دينه ، الوافى عقله ، الذى لا يَمَلَّك على القرب ، ولا ينساك على البعد ، إن دنوت منه داناك ، وإن بعدت عنه راعاك ، وإن استعضدته عضدك ، وإن احتجت إليه رفدك ، وتكفى مودة فعله أكثر من مودة قوله .

وقال بعض العلماء : لا تصحب إلا أحد رجلين : رجل تتعلم منه شيئا فى أمر دينك فينفعك ، أو رجل تعلمه شيئا فى أمر دينه فيقبل منك ، والثالث فاهرب منه .

قال على رضى الله عنه :

إنَّ أَخَاكَ الصِّدقَ مَنْ كانَ مَعَكْ
وَمَنْ يضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ
وَمَنْ إذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَعَكْ
شَتَّتَ نَفْسَهُ فِيْكَ لِيَجْمَعَكْ

وقال بعض الأدباء :

لا تصحب من الناس إلا من يكتم سرك ، ويستر عيبك ، فيكون معك فى النوائب ، ويُؤثرك بالرغائب ، وينشر حسنتك ، ويطوى سيئتك ، فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك .

وقد ذكر العلماء فيمن تُؤْثَرُ صحبته ومحبته خمس خصال :

أن يكون عاقلاً ، حسنَ الخلق ، غير فاسق ، ولا مبتدع ، ولا حريص على الدنيا .

أما العقل : فهو رأس المال وهو الأصل فلا خير فى صحبة الأحمق .

قال على رضى الله عنه :

فلا تَصْحَبْ أَخَا الجَهْلِ وَإِيَّـــاكَ وَإِيَّـــاهُ
فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرْدَى حَلِيما حين آخاهُ
يُقَاسُ المَرءُ بِالمَرْءِ إِذَا مَا المَرْءُ مَا شَاهُ
وَلِلشَّىءِ عَلَى الشَّىءِ مقاييس وأشباهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى القَلْبِ دَلِيلٌ حِيْنَ يَلْقَاهُ

ونعنى بالعاقل الذى يفهم الأمور على ما هى عليه ، إما بنفسه وإما إذا فُهِّمْ(٢٦).

أما حسن الخلق : فلابد منه إذ رب عاقل يدرك الأشياء على ما هى عليه ، ولكن إذا غلبه غضبٌ أو شهوةٌ أو بخلٌ أو جبنٌ أطاع هواه ، وخالف ما هو المعلوم عنده ، لعجزه عن قهر صفاته ، وتقويم أخلاقه ، فلا خير فى صحبته .

قال أبو حاتم ابن حبان رحمه الله(٢٧):

الواجب على العاقل أن يعلم أنه ليس من السرور شىء يعدل صحبة الإخوان ، ولا غم يعدل غم فقدهم ، ثم يتوقى جهده مفاسدة من صافاه ، ولا يسترسل إليه فيما يشينه ، وخير الإخوان من إذا عظمته صانك ، ولا يعيب أخاه على الزَّلَّة ، فإنه شريكه فى الطبيعة ، بل يصفح ، ويتنكب محاسدة الإخوان ، لأن الحسد للصديق من سقم

---

(٢٦) انظر فى باب اللطائف والنوادر تحت عنوان صحبة الأحمق

(٢٧) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء بتحقيق الشيخ حامد الفقى ص (٩٢ ، ٩٣) .

المودة ؛ كما أن الجود بالمودة أعظم البذل ، لأنه لا يظهر ود صحيح من قلب سقيم .

أما الفاسق : فلا فائدة فى صحبته ؛ فمن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته ، بل يتغير بتغير الأعراض .

قال تعالى : ﴿ **وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاه** ﴾ [الكهف : ٢٨]

وقال تعالى : ﴿ **فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلّا الحَيَاةَ الدُّنْيَا** ﴾ [النجم : ٢٩]

وقال النبى ﷺ : « لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى »[٢٨] .

قال أبو حاتم رحمه الله[٢٩] :

العاقل لا يصاحب الأشرار ؛ لأن صحبة صاحب السوء قطعة من النار ، تعقب الضغائن ؛ لا يستقيم وده ، ولا يفى بعهده ، وإن من سعادة المرء خصالاً أربعا : أن تكون زوجته موافقة ، وولده أبرارا ، وإخوانه صالحين ، وأن يكون رزقه فى بلده . وكل جليس لا يستفيد المرء منه خيرا ، تكون مجالسة الكلب خيرا من عشرته ، ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم ، كما أن من يدخل مداخل السوء يتهم .

---

(٢٨) رواه الترمذى (٢٤٢/١٠) الزهد وقال هذا حديث حسن إنما نعرفه من هذا الوجه ، وأبو داود (٤٨١١) الأدب : باب من يؤمر أن يجالس وسكت عنه .

(٢٩) روضة العقلاء ص (١٠١) .

قال بعضهم :

ابْلُ الرجالَ إذَا أَردتَّ إِخَاءَهُمْ
وَتَوسَّمَنَّ أُمُورَهُمْ وَتفقَّدِ
فَإِذَا ظَفَرْتَ بِذِى الأَمَانَةِ وَالتُّقَى
فَبِهِ اليَّدَينِ قَرِيْرَ عَيْنٍ فَاشْدُدِ

أما المبتدع : ففى صحبته خطر سراية البدعة وتعدى شؤمها إليه ، فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة ، فكيف تؤثر صحبته .

أما الحريص على الدنيا : فصحبته سم قاتل ، لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء ، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدرى صاحبه ، فمجالسة الحريص على الدنيا تحرك الحرص ، ومجالسة الزاهد تزهد فى الدنيا ؛ فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا ، ويستحب صحبة الراغبين فى الآخرة .

ونختم هذا الفصل بقول الشاعر(٣٠) :

النَّاسُ شَتَّى إذَا مَا أَنْتَ ذُقْتَهُمُ
لَا يَسْتَوُونَ كَمَا لَا يَسْتَوِى الشَّجَرُ
هَذَا لَهُ ثَمر حُلْوٌ مَذَاقَتُهُ
وَذَاكَ لَيْسَ لَهُ طَعْمٌ وَلَا ثَمَرُ

---

(٣٠) موارد الظمآن للسلمان (٦٨٤) .

حقوق الأخـــوة
ومستلزمات الصحبة والمحبة

اعلم أخى – وفقنى الله وإياك لما يحب ويرضى – أن لكل مسلم على أخيه المسلم حقوقاً ، وهذه الحقوق أوجبها عقد الإسلام ، وصارت لكل مسلم بهذا العقد حرمة ، لا يحل لأحدٍ أن ينتهكها ، وقد أتت جملة من هذه الحقوق ، وبيان لهذه الحرمة فى كلام من أوتى جوامع الكلم ﷺ واختصر له الكلام اختصارا ، فمن ذلك قوله ﷺ : « حق المسلم على المسلم ست : إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه »(٣١) .

وفى بيان حرمة المسلم ، وما لا يجوز للمسلم أن يقع فيه مع سائر المسلمين يقول ﷺ : « إياكم والظن فإن الظنَّ أكذبُ الحديثِ ، ولا تَحَسسُوا ، ولا تجسسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا .. ويشير إلى صدره ، بحسب امرىء

---

(٣١) رواه البخارى (١١٢/٣) الجنائز ، ومسلم (١٤٣/١٤ ، ١٤٤) السلام والترمذى (١٩٦/١٠ ، ١٧٠) الأدب ، والنسائى (٥٣/٤) الجنائز ، وأبو داود (٥٠٠٩) الأدب بلفظ خمس ، وليس فيه وإذا استنصحك فانصح له .

من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله »[٣٢] .

فهذه الحقوق العامة ، وهذه الحرمة المؤكدة للمال والعرض والدم ، ثابتة بعقد الإسلام ، وهى تزداد تأكداً وتوثقا فى حق الإخوان ، فإن عقد الأخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين ، ويترتب على هذا العقد حقوق المال والبدن واللسان والقلب ، وبمراعاة هذه الحقوق تدوم المودة وتزداد الألفة ، ويدخل المتعاقدان فى زمرة المتحابين فى الله ، وينالان من الفضل والثواب ما أسلفناه ، نسأل الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، وأن يدخلنا فى زمرتهم ، مع من أحبنا وأحببناه ، وأنا أذكر لك شيئا من ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(أ) حقوق الأخوة فى المال :

* **فمن حقوق المال الواجبة إنظاره إلى ميسرة إن كان غريماً** قال تعالى : ﴿ **وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ** ﴾ [البقرة : ٢٨٠] وقال ﷺ : « من يَسَّرَ على مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عليه فى الدنيا والآخرة »[٣٣].

* **ومن حقوق الأخوة المواساة بالمال ، وهى كما قال العلماء على ثلاث مراتب : أدناها أن تقوم بحاجته من فضل مالك** ، فإذا سنحت له حاجة ، وكان عندك فضل ، أعطيته ابتداءً ولم تحوجه

---

(٣٢) رواه البخارى (٦٠٦٦) النكاح ، ومسلم (١١٨/١٦ ، ١١٩) البر والصلة ، والترمذى (١٥٦/٨) البر والصلة وأبو داود (٤٨٩٦) الأدب .

(٣٣) رواه مسلم (٢١/١٧ ، ٢٢) الذكر والدعاء وأبو داود (٢٨٩/١٣ ، ٢٣٠) الأدب والترمذى فى الحدود والبر والصلة .

إلى السؤال ، فإن أحوجته إلى السؤال ، فهو غاية التقصير فى حق الأخوة .

الثانية : أن تنزله منزلة نفسك ، وترضى بمشاركته إياك فى مالك .

قال الحسن : كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه . وجاء رجل إلى أبى هريرة رضى الله عنه وقال : إنى أريد أن أواخيك فى الله . فقال : أتدرى ما حق الإخاء ؟ قال : عرفنى . قال أن لا تكون أحق بدينارك ودرهمك منى ، قال : لم أبلغ هذه المنزلة بعد . قال : فاذهب عنى .

وقال على بن الحسين لرجل : هل يُدخل أحدكم يده فى كم أخيه أو كيسه ، فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه ؟ قال : لا قال : فلستم بإخوان .

والثالثة وهى العليا ، أن تؤثره على نفسك ، وتقدم حاجته على حاجتك ، وهذه رتبة الصديقين ، ومنتهى درجات المتحابين .

قال ابن عمر رضى الله عنهما : أهدى لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة ، فقال : أخى فلان أحوج منى إليه ، فبعث به إليه ، فبعثه ذلك الإنسان إلى آخر ، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول ، بعد أن تداوله سبعة .

فكانت هذه المرتبة العليا من الإيثار ، هى مرتبة الصحابة الكرام رضى الله عنهم .

عن حميد قال : سمعت أنسا رضى الله عنه قال : لما قدموا المدينة نزل المهاجرون على الأنصار ، فنزل عبد الرحمن بن عوف على سعد ابن الربيع ، فقال : أقاسمك مالى ، وأنزل لك عن إحدى امرأتى . قال :

بارك الله لك فى أهلك ومالك . فآثره بما آثره به ، وكأنه قبله ثم آثره به .

وقد مدحهم الله عز وجل بقوله : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩]

قال أبو سليمان الدارانى : كان لى أخ بالعراق ، فكنت أجيئه فى النوائب ، فأقول : أعطنى من مالك شيئا ، فكان يلقى إلىَّ كيسه فآخذ منه ما أريد ، فجئته ذات يوم فقلت : أحتاج إلى شىء فقال : كم تريد ؟ فخرجت حلاوة إخائه من قلبى . وقال آخر : إذا طلبت من أخيك مالاً فقال : ماذا تصنع به فقد ترك حق الإخاء .

فهذه مراتب المواساة بالمال ، فإن لم توافق نفسك رتبة من هذه الرتب مع أخيك ، فاعلم أن عقد الأخوة لم ينعقد بعد فى الباطن ، وإنما الجارى بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها فى العقل والدين ، قال ميمون بن مهران ، من رضى من الإخوان بترك الأفضال ،فليؤاخ أهل القبور .

(ب) حقوق الأخوة فى البدن :

ويقصد بها الإعانة بالنفس فى قضاء الحاجات ، والقيام بها قبل السؤال ، وتقديمها على الحاجات الخاصة ، وهذه أيضا لها درجات كالمواساة بالمال ، وأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول المنة .

قال النبى ﷺ : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نَفَّسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يَسَّرَ على معسر يَسَّرَ الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ،

والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه »[٣٤].

أرسل الحسن البصرى[٣٥] جماعة من أصحابه فى قضاء حاجة لأخ لهم ، وقال مروا بثابت البُنانى فخذوه معكم ، فمروا بثابت فقال : أنا معتكف . فرجعوا إلى الحسن فأخبروه فقال لهم : قولوا له ياأعمش أما علمت أن سعيك فى حاجة أخيك خيرٌ لك من حَجَّةٍ بعد حَجَّة . فرجعوا إلى ثابت فأخبروه ، فترك اعتكافه وخرج معهم .

والدرجة الثانية : أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك . كان بعض السلف يتفقد عيال أخيه بعد موته أربعين سنة ، يقوم بحاجتهم ، ويتردد كل يوم إليهم ويمونهم من ماله ، فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه .

والدرجة الثالثة : أن تقدم حاجة أخيك على حاجتك ، وتبادر إلى قضائها ولو تأخرت حاجتك .

قضى ابن شُبرمة لبعض إخوانه حاجة كبيرة ، فجاء بهدية . فقال : ما هذا ؟ قال : لما أسديته إلىَّ . قال : خذ مالك عافاك الله ، إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه فى قضائها ، فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات ، وعده من الموتى .

وكان الحسن يقول : إخواننا أحبُّ إلينا من أهلنا وأولادنا لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا ، وإخواننا يذكرون بالآخرة .

ويدخل فى حق المسلم على أخيه المسلم زيارته له فى الله عز وجل ، قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة ؟

---

(٣٤) رواه مسلم وأبو داود وتقدم تخريجه ص (٢٥) .
(٣٥) جامع العلوم الحكم لابن رجب الحنبلى (٣٢١) طبعة الحلبى .

النبى فى الجنة ، والشهيد فى الجنة ، والصديق فى الجنة ، والرجل يزور أخاه فى ناحية المصر فى الله فى الجنة »[٣٦] .

وتقدم ذكر من زار أخاه لله عز وجل ، فأرسل الله له ملكا يبشره بمحبة الله عز وجل .

ومن الصور المشرقة للزيارة فى الله عز وجل ، وما ينبغى أن تشتمل عليه من الأخلاق والآداب ، ما كان بين أبى عبيد القاسم ابن سلام وأحمد بن حنبل رحمهما الله[٣٧] .

قال أبو عبيد : « زرت أحمد بن حنبل فى بيته فأجلسنى فى صدر داره ، وجلس دونى ، فقلت : ياأبا عبد الله ، أليس يقال : صاحب البيت أحق بصدر بيته ؟ فقال : نعم ! يَقْعُد ويُقعِد من يريد قال : فقلت فى نفسى : خذ إليك يا أبا عبيد فائدة .

قال : ثم قلت له : ياأبا عبد الله ، لو كنت آتيك على نحو ما تستحق لأتيتك كل يوم ، فقال : لا تقل ، إن لى إخوانا لا ألقاهم إلا فى كل سنة مرة ، أنا أوثق بمودتهم ممن ألقى كل يوم . قال : قلت : هذه أخرى ياأبا عبيد . فلما أردت أن أقوم قام معى فقلت : لا تفعل ياأبا عبدالله . فقال : قال الشعبى : من تمام زيارة الزائر أن تمشى معه إلى باب الدار ، وتأخذ بركابه .

---

(٣٦) رواه الدارقطنى فى الأفراد والطبرانى فى الكبير وحسنه الألبانى - صحيح الجامع (٢٦٠١) .

(٣٧) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى (١١٣) نقلا عن نفائس الحلة (٣٢ ، ٣٣) .

قال فقلت يأأبا عبيد هذه ثالثة . قال : فمشى معى إلى باب الدار وأخذ بركابى .

ومن هذه الصور المشرقة لزيارة السلف بعضهم لبعض وفرحهم بهذه اللقاءات الداعية لمزيد من الإيمان والحب فى الله عز وجل ما رواه الخطيب البغدادى فى « تاريخه » عن النقاش أنه قال : « بلغنى أن بعض أصحاب محمد بن غالب أبى جعفر المقرىء جاءه فى يوم وحلٍ وطين ، فقال له : متى أشكر هاتين الرجلين اللتين تعبتا إلىَّ ، فى مثل هذا اليوم لتكسباني فى الثواب؟ ثم قام بنفسه فاستقى له الماء، وغسل رجليه »[٣٨].

سلام الله على هذه الأرواح .

ورحمة الله على هذه الأشباح .

لم يبق منهم إلا أخبار وآثار .

(ج) حقوق الأخوة فى اللسان[٣٩] :

وهى بالسكوت تارة وبالنطق أخرى

* فمن حق الأخ على أخيه ، أن يسكت عن ذكر عيوبه فى غيبته وحضرته ، بل يتجاهل عنه .

أما ذكر عيوبه ومساويه فى غيبته فهو من الغيبة المحرمة ، وذلك حرام فى حق كل مسلم ، ويزجرك عنه أمران بالإضافة إلى زجر

---

(٣٨) تاريخ بغداد (١٤٣/٣) نقلا عن نفائس الحلة ص (٣٢) .
(٣٩) انظر الإحياء للغزالى ونفائس الحلة .

الشرع : أحدهما : أن تطالع أحوال نفسك ، فإن وجدت فيها شيئاً واحداً مذموماً ، فَهَوِّن على نفسك ما تراه من أخيك ، وقدر أنه عاجز عن قهر نفسه فى تلك الخصلة الواحدة ؛ كما أنت عاجز عما أنت مبتلى به ، والأمر الثانى : أنك تعلم أنك لو طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ، ولم تجد مَنْ تصاحبه أصلا كما قال النابغة الذبيانى :

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخاً لَا تَلُمُّهُ   عَلَى شَعَثٍ أَىُّ الرِّجَالِ المُهَذَّبُ

فما من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساوىء ، فإذا غلبت المحاسن المساوىء فهو الغاية ، والمؤمن أبداً يحضر فى نفسه محاسن أخيه لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام ، وأما المنافق اللئيم فإنه أبداً يلاحظ المساوىء والعيوب .

قال ابن المبارك : المؤمن يطلب المعاذير ، والمنافق يطلب العثرات .

وقال الفضيل : الفتوة العفو عن زلات الإخوان .

* **ومن ذلك أن يسكت عن إفشاء أسراره ولا إلى أخص أصدقائه ، ولو بعد القطيعة والوحشة ، فإن ذلك من لؤم الطبع وخبث النفس .**

قيل لبعض الأدباء ، كيف حفظك للسر ؟ قال : أنا قبره .

وأفشى بعضهم سراً إلى أخيه ثم قال له حفظت قال : بل نسيت .

وقالوا : قلوب الأحرار قبور الأسرار .

كان أبو سعيد الثورى يقول : إذا أردت أن تؤاخى رجلا فأغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك فإن قال خيرا وكتم سرا فاصحبه .

ومن ذلك أن يسكت عن مماراته وجداله :

قال بعض السلف : من لَاحَى الإخوان ومَارَاهُم، قَلَّتْ مروءته ، وذهبت كرامته .

وقال عبد الله بن الحسن : إياك ومماراة الرجال ، إنك لن تعدم مكرَ حليم ، أو مفاجأة لئيم .

وبالجملة فلا باعث على المماراة إلا إظهار التميز بمزيد العقل والفضل ، واحتقار المردود عليه بإظهار جهله وبالغ بعضهم فى ترك المراء والجدال فقال : إذا قلت لأخيك قم ، فقال إلى أين ؟ فلا تصحبه . بل ينبغى أن يقوم ولا يسأل .

والمراء يفتن القلب وينبت الضغينة ويجفى القلب ويقسيه ويرقق الورع فى المنطق والفعل .

عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة ، ومن تركه وهو محقٌّ بنى له فى وسطها ، ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاها »(٤٠) .

قال خالد بن يزيد بن معاوية الأموى « إذا كان الرجل ممَاريا لجوجا معجباً برأيه ، فقد تمت خسارته » .

قال الحسن البصرى : « إياكم والمراء فإنه ساعة جهل العالم ، وبها يبتغى الشيطان زلته .

---

(٤٠) رواه أبو داود (٤٧٧٩) الأدب ، وابن ماجه (رقم ٥١) المقدمة والنسائى (٦/ ٢١) من حديث فضالة بن عبيد رضى الله عنه، ورواه الترمذى بمعناه قال ابن الأثير : « ربض الجنة » ، مشبه بربض المدينة وهو ما حولها من العمارة .

وكما تقتضى الأخوة السكوت عن المكاره ، تقتضى أيضا النطق بالمحاب ، بل هو أخص بالأخوة ، لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبور .

* **فمن ذلك أن يتودد إليه بلسانه** ، ويتفقده فى الأحوال التى يحب أن يتفقد فيها ، وكذا جملة أحواله التى يكرهها ينبغى أن يظهر بلسانه وأفعاله كراهتها ، وجملة أحواله التى يسر بها ينبغى أن يظهر بلسانه مشاركته له فى السرور بها ، فمعنى الأخوة المساهمة فى السراء والضرار .

* **ومن ذلك أن يخبره بمحبته له** عن أنس بن مالك قال : مر رجل بالنبى ﷺ وعنده ناس ، فقال رجل ممن عنده : إنى لأحب هذا لله ، فقال النبى ﷺ : « أَعْلَمْتَهُ ؟ » قال : لا . قال : « قم إليه فَأَعْلِمْه » فقام إليه فأعلمه ، فقال : أَحَبَّكَ الذى أحببتنى له ثم قال ثم رجع فسأله النبى ﷺ فأخبره بما قال فقال النبى ﷺ : « أنت مع من أحببت ، ولك ما احتسبت »(٤١) وعن المقدام بن معدى كرب عن النبى ﷺ قال : « إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه »(٤٢) .

وإنما أمر النبى ﷺ بالإخبار ، لأن ذلك يوجب زياده حب ، فإن عرف أنك تحبه أحبك بالطبع لا محالة ؛ فإذا عرفت أنه أيضا يحبك زاد حبك لا محالة ، فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف ، والتحابب بين المسلمين مطلوب فى الشرع محبوب فى الدين ، قال النبى

---

(٤١) رواه أحمد (٣/١٥) وأبو داود (٥١٢٥) والحاكم (٤/١٧١) وصححه ووافقه الذهبى ورواه البغوى فى شرح السنة (١٣/٦٧) وقال المحقق إسناده حسن – شرح السنة (١٣ / ٦٧) .

(٤٢) رواه أحمد (٤/١٣٠) وأبو داود (٥١٠٢) الأدب والترمذى (٧/٧١) تحفة الزهد ، والبخارى فى الأدب المفرد (٥٤٢) وقال الترمذى : حديث حسن صحيح غريب .

ﷺ : « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم »(٤٣) .

* **ومن ذلك أن يدعوه بأحب أسمائه إليه في غيبته وحضوره ،** قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ثلاث يصفين لك ود أخيك : أن تسلم عليه إذا لقيته أولا ، وتوسع له فى المجلس ، وتدعوه بأحب أسمائه إليه .

* **ومن ذلك : أن تثنى عليه بما تعرف من محاسن أحواله ،** وآكد من ذلك أن تبلغه ثناء من أثنى عليه ، مع إظهار الفرح ، فإن إخفاء ذلك محض الحسد ، وذلك من غير كذب ولا إفراط ، فإن ذلك من أعظم الأسباب فى جلب المحبة .

* **وأعظم من ذلك تأثيرا فى جلب المحبة ، الذَّبُّ عنه فى غيبته** مهما قصد بسوء أو تعرِّض لِعرضه بكلام صريح ، أو تعريض، فحق الأخوة التشمير فى الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه ، والسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب ، وتقصير فى حق الأخوة .

قال رسول الله ﷺ : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يحرمه ولا يخذله »(٤٤) .

---

(٤٣) رواه مسلم (٣٥/٢) الإيمان ، والترمذى (٣١٥/٩) صفة القيامة بزيادة فى أوله : « دب إليكم داء الأمم قبلكم (٥١٧١) الأدب . قال النووى ، قوله : لا تؤمنوا حتى تحابوا » معناه لا يكمل إيمانكم ، ولا يصلح حالكم فى الإيمان إلا بالتحاب .

(٤٤) تقدم تخريجه

* **ومن ذلك التعلم والنصيحة** : قال رسول الله ﷺ : «الدين النصيحة قالوا لمن يارسول الله قال لله ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»(٤٥) وبخاصة إذا استنصح الأخ أخاه وجب عليه أن يخلص له النصيحة ، كما سلف فى الحقوق العامة للمسلمين ، وينبغى أن تكون النصيحة فى سرٍّ لا يطلع عليه أحد ، فما كان على الملأ فهو توبيخ وفضيحة ، وما كان فى السر ، فهو شفقة ونصيحة .

قال الشافعى رحمه الله : من وعظ أخاه سرًّا فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه وقال رحمه الله :

تَعَمَّدْنِى بِنُصْحِكَ فِي انْفِرَادِى ... وَجَنّبْنِى النَّصِيْحَةَ فِى الجَمَاعَة
فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ ... مِنَ التَّوْبِيْخِ لَا أَرْضَى اسْتِمَاعَه
وَإِنْ خَالَفْتَنِى وَعَصَيْتَ قَوْلِى ... فَلَا تَجْزَعْ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَة

وتتأكد النصيحة كذلك إذا تغير أخوك عما كان عليه من العمل الصالح .

قال أبو الدرداء : إذا تغير أخوك ، وحال عما كان عليه ، فلا تدعه لأجل ذلك ؛ فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم مرة . وحكى عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة ، فقيل لأخيه : ألا تقطعه وتهجره ؟ فقال : أحوج ما كان إلىَّ فى هذا الوقت لما وقع فى عثرته أن آخذ بيده ، وأتلطف له فى المعاتبة ، وأدعو له بالعود إلى ما كان عليه .

(٤٥) رواه مسلم (٣٧/١) الإيمان : باب بيان لا يدخل الجنة إلا المؤمنون عن تميم الدارى .

قال ابن بطال : فى الحديث أن النصيحة تسمى دينا وإسلاما ، وأن الدين يقع على العمل كما يقع على القول، قال: والنصيحة فرض يجزى فيه من قام به ويسقط عن الباقين، قال: والنصيحة لازمة على قدر الطاقة ، إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه ، ويطاع أمره وأمن على نفسه المكروه ، فإن خشى على نفسه أذى فهو فى سعة والله أعلم .

والأخوة عقد ينزل منزلة القرابة ، فإذا انعقد تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ، ومن الوفاء به أن لا يهمل أخاه أيام حاجته وفقره ، وفقر الدين أشد من فقر المال ، والأخوة عند النائبات وحوادث الزمان ، وهذا من أشد النوائب .

والقريب ينبغى أن لا يهجر من أجل معصيته ؛ حتى يقام له بواجب النصيحة ، وذلك لأجل قرابته ، قال الله تعالى لنبيه ﷺ فى عشيرته : ﴿**فإنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تَعْمَلُون**﴾ [الشعراء : ٢١٦] .

ولم يقل : إنى برىء منكم ؛ مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب ، ولهذا أشار أبو الدرداء لما قيل له : ألا تبغض أخاك وقد فعل كذا ؟ فقال : إنما أبغض عمله وإلا فهو أخى .

وكذا التفريق بين الأحباب من محاب الشيطان ، كما أن مقارفة العصيان من محابه ، فإذا حصل للشيطان أحد غرضيه ، فلا ينبغى أن يضاف إليه الثانى .

ومن ذلك الدعاء لأخيه فى حياته وبعد مماته :

عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك : ولك بمثل »[٤٦] .

قال النووى رحمه الله[٤٧] فى هذا فضل الدعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب ، ولو دعا لجماعة من المسلمين حصلت هذه الفضيلة ، ولو دعا

---

(٤٦) رواه مسلم (١٧/٤٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة .
(٤٧) صحيح مسلم بشرح النووى (١٧/٤٩) .

لجملة المسلمين فالظاهر حصولها أيضا ، وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة ؛ لأنها تستجاب ويحصل له مثلها . جاء فى تاريخ بغداد للخطيب البغدادى فى ترجمة الطيب إسماعيل أبى حمدون – أحد القراء المشهورين قال(٤٨) :

كان لأبى حمدون صحيفة فيها مكتوب ثلاثمائة من أصدقائه وكان يدعو لهم كل ليلة ، فتركهم ليلة فنام ؛ فقيل له فى نومه ياأبا حمدون : لِمَ لَمْ تسرج مصابيحك الليلة قال : فقعد فأسرج ، وأخذ الصحيفة فدعا لواحد واحدٍ حتى فرغ .

(د) حقوق الأخوة فى القلب :

وأنا ألخص لك ذلك ثم ابينه بشىء من التفصيل . فمن حق المسلم على أخيه فى الله عز وجل الوفاء والإخلاص فى محبته وصحبته ، وعلامة ذلك أن تدوم المحبة ، وأن يجزع من الفراق ، ومن حقه أن تحسن به الظن ، وأن تحمل كلامه وتصرفاته على أطيب ما يكون ، ومن ذلك أن لا يكلف أخاه التواضع له ، والتفقد لأحواله ، والقيام بحقوقه .

الوفاء والإخلاص :

ومعنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه ، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه ؛ فإنَّ الحب فى الله إنما يراد به ما عند الله عز وجل ،فلا ينتهى بموت أخيه .

قال بعضهم : قليل الوفاء بعد الوفاة ، خير من كثيره فى حال الحياة .

(٤٨) تاريخ بغداد (٣٦١/٩) نقلا عن نفائس الحلة .

وقد جاء أن رسول الله ﷺ أكرم عجوزا أدخلت عليه فقيل له فى ذلك ؛ فقال : « إنها كانت تأتينا أيام خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان »(٤٩) .

* ومن الوفاء للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والمتعلقين به .

* ومن الوفاء : أن لا يتغير حاله مع أخيه ، وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه .

قال بعضهم :

إنَّ الكِرَامَ إذَا مَا أَيْسرُوا ذَكَــرُوا   مَنْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ فِى المَنْزِلِ الخَشِنِ

وأوصى بعض السلف ابنه فقال له : يابنى لا تصحب من الناس ، إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك ، وإذا استغنيت عنه لم يطمع فيك ، وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك .

ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة ، شمت به الشيطان ، فإنه لا يحسد متعاونَين على بر ، كما يحسد متواخيين فى الله ومتحابين فيه . فإنه يجهد نفسه لإفساد ما بينهما قال الله تعالى : ﴿ **وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الإسراء : ٥٣] .

قال بعضهم : ما تواخى اثنان فى الله فتفرق بينهما ، إلا بذنب يرتكبه أحدهما .

---

(٤٩) أخرجه ابن الأعرابى فى معجمه (٢/٧٥) ، وعنه القضاعى فى مسند الشهاب (١/٨٢) ، والحاكم فى المستدرك (١/١٥ ، ١٦) وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين وليس له علة ، ووافقه الذهبى ، وقال الألبانى : وصالح بن رستم لم يخرج له البخارى فى صحيحه إلا تعليقا وأخرج له فى الأدب المفرد ثم هو مختلف فيه ثم حسنه الألبانى حفظه الله – الصحيحة رقم ٢١٦ .

وكان بشر يقول : إذا قصر العبد فى طاعة الله ، سلبه الله من يؤنسه . وذلك لأن الإخوان مسلاة الهموم وعون على الدين . ولذلك قال ابن المبارك : ألذ الأشياء مجالسة الإخوان ، والانقلاب إلى كفاية .

ومن آثار الصدق والإخلاص وتمام الوفاء ، أن تكون شديد الجزع من المفارقة ، نفور الطبع عن أسبابها ، كما قيل :

وَجَدْتُ مُصِيْبَاتِ الزَّمَانِ جَمِيعَهَا سِوَى فُرْقَةِ الأَحْبَابِ هَيِّنَةَ الْخَطْبِ

وأنشد ابن عُيَيْنَةَ هذا البيت وقال : لقد عهدت أقواما فارقتهم منذ ثلاثين سنة ، ما يخيل إلىَّ أن حسرتهم ذهبت من قلبى .

* ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه .

* ومن الوفاء أن لا يصادق عدو صديقه : قال الشافعى رحمه الله : إذا أطاع صديقك عدوك ، فقد اشتركا فى عداوتك .

ومن حقوق الأخوة القلبية حسن الظن ، بأخيه :

قال الله عز وجل : ﴿ **يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اجتنِبُوا كِثَيراً مِّنَ الظَّنِ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** ﴾ [الحجرات : ١٢] .

وقال النبى ﷺ : « إِيّاكُمْ وَالظن فَإِنَّ الظَنَّ أَكْذَبُ الحَدِيث »(٥٠) وإذا كان هذا مطلوب فى المسلمين عامة ؛ فيتأكد ذلك بين المتآخين فى الله عز وجل ومن مناقب الإمام الشافعى ما قاله أحد تلامذته عنه الربيع بن سليمان قال : « دخلت على الشافعى وهو مريض

---

(٥٠) رواه البخارى (رقم ٦٠٦٦) النكاح ، ومسلم (١١٨/١٦ ، ١١٩) البر والصلة ، والترمذى (١٥٦/٨) أبواب البر والصلة ، وأبو داود (٤٨٩٦) الأدب .

فقلت له : قوى الله ضعفك » فقال : لو قوى ضعفى قتلنى . فقلت : والله ما أردت إلا الخير . قال : أعلم أنك لو شتمتنى لم تُرد إلا الخير[٥١] .

فينبغى أن يحمل كلام الإخوان على أحسن معانيه ، وأن لا يظن بالإخوان إلا خيرا ، فإن سوء الظن غِيبة بالقلب .

ومن حقوق الأخوة القلبية أن يتواضع لإخوانه ، ويسىء الظن بنفسه . فإذا رآهم خيرا من نفسه ، يكون هو خيرا منهم .

قال أبو معاوية الأسود : إخوانى كلهم خير منى ، قيل وكيف ذلك ؟ قال : كلهم يرى لى الفضل عليه ، ومن فضلنى على نفسه فهو خير منى .

ومهما رأى الفضل لنفسه فقد احتقر أخاه ، وهذا فى عموم المسلمين مذموم قال ﷺ : « بِحَسْبِ امرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِم »[٥٢] .

---

(٥١) مناقب الشافعى للرازى ص (٢٧٤) نقلا عن نفائس الحلة .

(٥٢) الحديث السابق .

لطائف ونوادر

فى المحبة والإخــاء

علامات الحب فى الله :

* من علامات الحب فى الله أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء قال يحيى ابن معاذ الرازى :(٥٣) .

حقيقة المحبة أنها لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء .

* ومن علامات الحب فى الله الموافقة قال بعضهم :

يَقُولُ لِلشيءِ لَا إنْ قُلْتَ لَا
وَيَقُولُ لِلْشَيءِ نَعَمْ إِنْ قُلْتَ نَعَمْ

* ومن علاماته أن لا يحسد المحبُّ أخاه فى دين ولا دنيا .

وقد وصف الله تعالى المتحابين فى قوله : ﴿ **وَلَا يَجِدُون فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾ [الحشر : ٩] .

* ومن علاماته أن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه قال رسول الله ﷺ : «لَا يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » (٥٤).

---

(٥٣) طبقات الشافعية (٥١/٦) نقلا عن نفائس الحُلة ص (١٦) .

(٥٤) رواه البخارى (٥٦/١ ، ٥٧) الإيمان ، ومسلم (١٦/٢) الإيمان بلفظ

* ومن علاماته أن يزداد إذا رأى أخاه فى طاعة الله ، وينقص إذا رأى منه معصية الله عز وجل .

ليس من الوفـــاء :

ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق فى أمر يتعلق بالدين ، بل من الوفاء له المخالفة ، كان الشافعى رحمه الله آخى محمد بن الحكم ، وكان يقربه ويقبل عليه ويقول : ما يقيمنى بمصر غيره ، فاعتل محمد فعاده الشافعى فقال :

مَرِضَ الحَبِيْبُ فَعُدتُهُ فَمَرِضتُ مِنْ حَذَرِى عَلَيْهِ
وَأَتَى الحَبِيبُ يَعُودُنِي فَبَرِئْتُ مِنْ نَظَرِى إِلَيْهِ

وظن الناس لصدق مودتهما أنه يفوض أمر حلقته إليه بعد وفاته ، فقيل للشافعى فى علته التى مات منها إلى من نجلس بعدك يا أبا عبد الله ؛ فاستشرف له محمد بن الحكم وهو عند رأسه ليومئَ إليه ، فقال الشافعى : سبحان الله أيشك فى هذا ؟ أبو يعقوب البويطى . فانكسر لها محمد ، ومال أصحابه إلى البويطى ، مع أن محمدا كان قد حمل عنه مذهبه كله ، لكن كان البويطى أفضل وأقرب إلى الزهد والورع ، فنصح الشافعى لله وللمسلمين ، وتَرَكَ المداهنة ، ولم يؤثر رضا الخلق على رضا الله تعالى ، والمقصود أن الوفاء بالمحبة من تمامها النصح لله . (٥٥)

وإن شئت قلت : النصح لله مقدم على الوفاء بمحبة الإخوان .

« لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه أو قال لجاره ما يحب لنفسه » قال الكرمانى : ومن الإيمان أيضا أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من الشر ، ولم يذكره لأن حب الشيء مستلزم لبغض نقيضه ، فترك التنصيص عليه اكتفاء والله أعلم .

(٥٥) إحياء علوم الدين (٩٧٧) .

رَحَل الإخوان :

قال ابن الجوزى رحمه الله :

هيهات رحل الإخوان وأقام الخُوَّان ، وقل من ترى فى الزمان إلا من إذا دُعِىَ مَان ، كان الرجل إذا أراد شين أخيه طلب حاجته إلى غيره .

ثم قال : نسخ فى هذا الزمان رسم الأخوة وحكمه ، فلم يبق إلا الحديث عن القدماء ، فإذا سمعت بإخوان صدق فلا تصدق .

وقال بعضهم[٥٦] :

سَمِعْنَا بِالصَّدِيقِ وَلَا نَرَاهُ   عَلَى التَّحْقِيقِ يُوْجَدُ فى الأَنَامِ
وَأَحْسَبُهُ مُحَالًا جَوَّزُوهُ   عَلَى وَجْهِ المَجَازِ مِنَ الكَلَامِ

صحبة الأحمق[٥٧] :

قال أبو حاتم رحمه الله : من علامات الحمق التى يجب للعاقل تفقدها ممن خفى عليه أمره : سرعة الجواب ، وترك التثبت ، والإفراط فى الضحك ، وكثرة الالتفات ، والوقيعة فى الأخيار والاختلاط بالأشرار .

والأحمق إذا أعرضت عنه اغتم ، وإن أقبلت عليه اغتر ، وإن حلمت عنه جهل عليك ، وإن جهلت عليه حلم عنك ، وإن

---

(٥٦) زلال قراح الألباء ص (٨) .

(٥٧) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص (١١٩) .

أسأت إليه أحسن إليك ، وإن أحسنت إليه أساء إليك ، وإذا ظلمته انتصفت منه ، ويظلمك إذا أنصفته . وما أشبه عِشرةَ الحمقى بما أنشدنى محمد بن إسحاق الواسطى :

لِى صَدِيقٌ يَرَى حُقُوقِى عَلَيْهِ نَافِلَاتٍ وَحَقَّهُ كَانَ فَرْضَا
لَوْ قَطَعْتُ الجِبَالَ طُولاً إِلَيْه ثُمَّ مِن بَعْدِ طُولِهَا سِرْتُ عَرْضَا
لَرأى مَا صَنَعْتُ غَيْرَ كَبِيرٍ وَاشْتَهَى أَنْ أَزِيدَ فِى الأَرْضِ أَرْضاً

ما ضاق مكان بمتحابين[٥٨] :

عن الأثرم قال : دخل اليزيدى يوما على الخليل بن أحمد ، وهو جالس على وسادة ، فأوسع له فجلس معه اليزيدى على وسادته . فقال له اليزيدى : أحسبنى قد ضيقت عليك فقال الخليل : ما ضاق مكان على اثنين متحابين ، والدنيا لا تسع اثنين متباغضين .

صداقة غير صادقه[٥٩] :

حكى ابن حبان البستى عن محمد بن حسين قال :

« كان أعرابى بالكوفة ، وكان له صديق يظهر له مودة ونصيحة ، فاتخذه الأعرابى من عدده للشدائد ، إذ حزب الأعرابى أمر ، فأتاه فوجده بعيدا مما كان يظهر للأعرابى فأنشأ يقول :

إِذَا كَانَ وُدُّ المَرْءِ لَيْسَ بِزَائِدٍ عَلَى مَرْحَباً أَوْ « كَيْفَ أَنْتَ» وَحَالُكَا

(٥٨) نزهة الألباء (٧٠) نقلاً عن نفائس الحُلة ص (١٨) .
(٥٩) روضة العقلاء ص (١٠٥) .

وَلْم يَك إلّا كَاشِرًا أَوْ مُحَدّثَا فَأُفٍ لِوُدٍّ لَيْسَ إلَّا كَذَلِكَا
لِسَانُكَ مَعْسُولٌ وَنَفْسُكَ بَشَّةٌ وَعِنْدَ الثرَيّا مِنْ صَدِيقِكَ مَالُكَا
وَأَنتَ إذَا هَمّتْ يَمِينُكَ مَرَّةً لِتَفْعَلَ خَيْرًا قَاتَلَتْها شِمَالُكَا

صاحب أهل الدين :

قال ابن الجوزى رحمه الله (٦٠) :

صاحب أهل الدين وصَافِهم ،
واستفد من أخلاقهم وأوصافهم ،
واسكن معهم بالتأدب فى دارهم ،
وإن عاتبوك فاصبر ودارهم ،
أنت فى وقت الغنائم نائم ،
وقلبك فى شهوات البهائم هائم ،
إن صدقت فى طِلابهم فانهض وبادر ،
ولا تستصعب طريقهم فالمعين قادر ،
تعرض لمن أعطاهم وسل فمولاك مولاهم
رب كنز وقع به فقير ، ورب فضل فاز به صغير
علم الخضر ما خفى على موسى ، وكشف لسليمان ما خفى عن داود

من أولى بالغم (٦١) :

قال الأصمعى :

(٦٠) المدهش لابن الجوزى ص (٤٢٨) بتصرف دار الكتب العلمية .
(٦١) عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة لأبى الحسن على بن عبد الرحمن ابن هُذيَل ص (١٩٨) .

سأل رجل أبا عمرو بن العلاء حاجة فوعده بها ، ثم إن الحاجة تعذرت على أبى عمرو ، فلقيه الرجل بعد ذلك ، فقال له : يا أبا عمرو وعدتنى وعدا . فلم تنجزه ؟ فقال له أبو عمرو : فمن أولى بالغم أنا أو أنت فقال له : أنا ، فقال له أبو عمرو : بل أنا ، فقال له الرجل وكيف ذلك أصلحك الله ؟ قال : لأنى وعدتك وعدا فأبتَ بفرح الوعد ، وأبتُ أنا بهم الإنجاز ، وبتَ ليلتك فَرِحاً ، وبتُ مفكرا مغموما ثم مغموما ، ثم عاق القدر عن بلوغ الإرادة ، فلقيتنى مدلا ، ولقيتك محتشما ، فمن هنا صرتُ أولى بالغم .

من هم الأصدقـــاء :

قال الشافعى رحمه الله [٦٢] :

إِذَا المَرْءُ لَا يَرْعَاكَ إِلّا تَكَلُّفَا ... فَدَعْهُ وَلَا تُكْثِرْ عَلَيْهِ التّأَسُّفَا
فَفِى النَّاسِ أَبْدَالٌ وفِي التَرك راحةٌ ... وَفِي القَلْبِ صَبْرٌ لِلحَبيب وَلوْ جَفَا
فَمَا كُلُّ مَنْ تَهْواهُ يَهْوَاكَ قَلْبُهُ ... وَلَا كُل مَنْ صافَيْتَهُ لك قَدْ صَفَا
إِذَا لَمْ يكُنْ صَفْوُ الودَادِ طَبيعَةً ... فَلَا خَيْرَ فِى ودٍ يجُيء تَكَلُّفَا
وَلَا خَيْرَ فى خِـلٍّ يَخُونُ خَلِيلَهُ ... وَيَلقاهُ مِن بَعْدِ المَوَدَّةِ بالجَفَا
وَيُنْكِرُ عَيْشًا قد تَقَادَم عَهْدُهُ ... وَيُظْهِرُ سِرًّا كَانَ بِالأمْسِ قَدْ خَفَا
سَلَامٌ عَلَى الدّنْيَا إِذَا لَمْ يكن بِهَا ... صَدِيقٌ صَدُوقٌ صادِقُ الوَعْدِ مُنْصِفَا

أنواع المحبة :

قال ابن حزم رحمه الله [٦٣]

---

(٦٢) ديوان الشافعى ص (٩٤) مكتبة الكليات الأزهرية .
(٦٣) طوق الحمامة فى الألفة والألاف ص (٨) المكتبة الحسينية .

المحبة ضروب : فأفضلها محبة المتحابين فى الله عز وجل[٦٤] ؛ إما لاجتهاد فى العمل وإما لاتفاق فى أصل النحلة والمذاهب ، وإما لفضل علم يمنحه الإنسان ، ومحبة القرابة ، ومحبة الألفة والاشتراك فى المطالب ومحبة التصاحب والمعرفة ، ومحبة البر يضعه المرء عند أخيه ، ومحبة الطمع فى جاه المحبوب ، ومحبة المتحابين لسر يجتمعان عليه يلزمهما ستره ، ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر ، ومحبة العشق التى لا علة لها إلا ما ذكرنا من اتصال النفوس ، وكل هذه الأجناس منقضيه مع انقضاء عللها ، وزائدة بزيادتها أو ناقصة بنقصانها ، متأكدة بدنوها ، فاترة ببعدها .

---

(٦٤) قلت وقد أغفل محبة الله عز وجل وهى أعلى المحاب فإن المحبوب قسمان محبوب لنفسه ومحبوب لغيره وكل ما سوى الله عز وجل فهو محبوب لغيره وليس شىء يحب لنفسه إلا الله وحده وكل ما سواه مما يحب فإنما محبته تبع لمحبة الرب تبارك وتعالى كمحبة ملائكته وأوليائه فإنها تبع لمحبة الله سبحانه وهى من لوازم محبته هذا فى المحبة المشروعة وقسم ابن القيم رحمه الله المحبة إلى خمسة أنواع :

١ – محبة الله ولا تكفى وحدها فى النجاة .
٢ – محبة ما يحبه الله من الإيمان وأسبابه .
٣ – الحب لله وفيه وهى من لوازم محبة ما يحبه الله .
٤ – المحبة مع الله وهى المحبة الشركية وهى أن يحب شيئا مع الله لا له ولا من أجله ولا فيه .
٥ – المحبة الطبيعية كمحبة الزوجة والولد فهذه لا تذم إلا إذا شغلت عن محبة الله .

– انظر الجواب الكافى (٢٠٠) بتصرف .

صور مشرقة
للمحبة الصادقة

الصورة الأولى للمحبة الصادقة فى الله عز وجل ، ولله عز وجل ، هذه الصداقة والأخوة التى نشأت بين رسول الله ﷺ وبين صِدِّيقِ هذه الأمة رضى الله عنه ، وأكتفى بذكر موقف من هذه المواقف التى تدل على صدق المودة والمحبة ، واختصاص المحب لما يدور فى قلب أخيه الذى أحبه فى الله عز وجل عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال(٦٥) : « خطب رسول الله ﷺ الناس وقال : إن الله خَيَّرَ عبداً بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ذلك العبد ، ماعند الله ، قال : فبكى أبو بكر ، فعجبنا لبكائه أن يخبرَ رسول الله ﷺ عن عبد خُيِّرَ ، فكان رسول الله ﷺ هو المخير ، وكان أبو بكر أعلمنا ، فقال رسول الله

---

(٦٥) رواه البخارى (١٢/٧) فضائل الصحابة ، ومسلم (١٥/١٥٠ ، ١٥١) الفضائل ، واللفظ للبخارى .

قوله : « لو كنت متخذا خليلا » قال الداودى : لا ينافى هذا قول أبى هريرة وأبى ذر وغيرهما ، أخبرنى خليلى ﷺ : لأن ذلك جائز لهم ، ولا يجوز للواحد منهم أن يقول أنا خليل النبى ﷺ ، ولهذا يقال إبراهيم خليل الله ، ولا يقال الله خليل إبراهيم .

قوله « إلا باب أبى بكر » قال الخطابى وابن بطال وغيرهما : فى هذا الحديث اختصاص ظاهر لأبى بكر ، وفيه إشارة قوية إلى استحقاقه للخلافة ، ولا سيما وقد ثبت أن ذلك كان فى آخر حياة النبى ﷺ ، فى الوقت الذى أمرهم فيه ألا يؤمهم إلا أبو بكر انتهى من الفتح (١٣/٧ ، ١٤) .

ﷺ : إن أمَنَّ الناسِ عَلىَّ فى صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذاً خليلا غير ربى لا تخذتُ أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقين فى المسجد باب إلا سُدَّ ، إلا باب أبى بكر »

قال ابن رجب رحمه الله (٦٦) :

لما عَرَّضَ الرسول ﷺ على المنبر باختياره للقاء على البقاء ولم يصرح ، خفى المعنى على كثير ممن سمع ، ولم يفهم المقصود غير صاحبه الخصيص به ، ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، وكان أعلم الأمة بمقاصد الرسول ﷺ ، فلما فهم المقصود من هذه الإشارة بكى وقال : بل نفديك بأموالنا وأنفسنا وأولادنا ، فسكَّن الرسول ﷺ جزعه ، وأخذ فى مدحه والثناء عليه على المنبر ، ليعلم الناس كلهم فضله ، ولا يقع عليه اختلاف فى خلافته ، فقال : إن من أمن الناس علىَّ فى صحبته وماله أبو بكر .

والصورة الثانية لهذه الأخوة الصادقة ، ما حدث بين المهاجرين والأنصار ، ومدح الله عز وجل الأنصار بقوله : ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الحشر : ٩] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قالت الأنصار اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل . قال : لا . فقالوا : أتكفونا المؤنة ونشرككم فى الثمرة قالوا سمعنا وأطعنا » (٦٧) .

---

(٦٦) لطائف المعارف ص (١٠٦) دار الجيل بيروت .

(٦٧) البخارى (١١٣/٧) مناقب الأنصار : باب إخاء النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار .

قال ابن كثير رحمه الله قوله تعالى : ﴿ **يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ** ﴾ [٦٨] : أى من كرمهم وشرف أنفسهم ، يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم . وقوله : ﴿ **وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا** ﴾ قال ابن كثير رحمه الله : أى ولا يجدون فى أنفسهم حسدا للمهاجرين فيما فضلهم الله به ، من المنزله والشرف والتقديم فى الذكر والرتبة . وقوله : ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾ .

قال القرطبى[٦٩] : الإيثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية ، ورغبة فى الحظوظ الدينية ، وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة ، أى يؤثرون على أنفسهم بأموالهم ومنازلهم لا عن غنى بل مع احتياجهم إليها .

وقال رحمه الله[٧٠] : والإيثار بالنفس فوق الإيثار بالمال .

ومن الأمثال السائرة : والجود بالنفس أقصى غاية الجود . قال الدكتور بابللى[٧١] : هذا الحب لا لصنيعة سبقت من المهاجرين إليهم ، أو ليد كانت لهم عليهم ، وإنما الإيمان بالله الذى وحد بين قلوبهم ، وهو الحب فى الله الذى جمع بينهم ، ففتحوا قلوبهم لإخوانهم فى الدين ، قبل أن يفتحوا لهم منازلهم .

---

(٦٨) تفسير القرآن العظيم (٣٣٧/٤) .

(٦٩) تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن (٦٥٠٥/٨) بتصرف طبعة الشعب .

(٧٠) المرجع السابق ص (٦٠٥٧/٨) .

(٧١) معانى الأخوة فى الإسلام ومقاصدها للدكتور / محمود محمد بابللى ص (٥٠) .

ومن هذه الصـور المشرقة للمحبة الصادقة : ما رواه القرطبى عن حذيفة العدوى قال : انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى – ومعى شيء من الماء – وأنا أقول إن كان به رمقٌ سقيته ، فإذا أنابه ، فقلت له : أسقيك ، فأشار برأسه أن نعم ، فإذا أنا برجل يقول : آه ! آه ! فأشار إلىَّ ابن عمى أن أنطلق إليه ، فإذا هو هشام بن العاص ، فقلت : أسقيك ؟ فأشار أن نعم . فسمع آخر يقول آه ! آه ! فأشار هشام أن انطلق إليه ، فجئته فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات . (٧٢)

(٧٢) تفسير القرطبى (٦٥٠٧) .

آفات الصحبــة

وقد نقلنا ما ذكر فى فضل المحبة فى الله عز وجل والأخوة فيه ، نرى من تمام النصيحة أن نحذر كذلك من آفات الصحبة ، حتى يتم انتفاعنا بهذه الرسالة ، التى نرجو من الله أن تكون سببا لمزيد من المحبة والترابط بين الإخوان ، وكذلك الحذر من مداخل الشيطان .

فمن آفات الصحبة : كثرة الزيارات والمجالس التى هى مجالس مؤانسة وقضاء وَطَر ، أكثر منها مجالس ذكر وتذكير وتعاون على البر والتقوى ، فيكون فى هذه المجالس ضياع الأوقات وذهاب المروءات وقد يجر فضول الكلام إلى ما يغضب الملك العلام قال النبى ﷺ : « ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه ، إلا قاموا على مثل جيفة حمار ، وكان عليهم حسرة يوم القيامة » (٧٣) .

قال ابن القيم رحمه الله (٧٤) :

الاجتماع بالإخوان قسمان : أحدهما اجتماع على مؤانسة الطبع وشغل الوقت ، فهذا مضرته أرجح من منفعته ، وأقل ما فيه أنه يفسد القلب ويضيع الوقت .

---

(٧٣) رواه أبو داود (٤٨٥٥) والطحاوى (٣٦٧/٢) – وأبو الشيخ فى طبقات الأصبهانيين (٢٢٩) – والحاكم (٤٩٢/١) وأبو نعيم (٢٠٧/٧) ، وأحمد (٣٨٩/٢ ، ٥١٥ ، ٥٢٧) وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى ووافقهما الألبانى – الصحيحة رقم ٧٧ .

(٧٤) الفوائد ص (٦٨) دار الدعوة .

الثانى : الاجتماع بهم على أسباب النجاة والتواصى بالحق والصبر ، فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها ، ولكن فيه ثلاث آفات : إحداها : تزين بعضهم لبعض .

الثانية : الكلام والخلطة أكثر من الحاجة .

الثالثة : أن يصير ذلك شهوة وعادة ينقطع بها عن المقصود . وبالجملة فالاجتماع والخلطة لقاح إما للنفس الأمارة ، وإما للقلب والنفس المطمئنة ، والنتيجة مستفادة من اللقاح فمن طاب لقاحه طابت ثمرته وهكذا الأرواح الطيبة لقاحها من الملك ، والخبيثة لقاحها من الشيطان ، وقد جعل الله سبحانه بحكمته الطيبات للطيبين ، والطيبين للطيبات ، وعكس ذلك .

ومن آفات الصحبة الإفراط فى الحب والبغض :

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : قال لى عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا أسلم لا يكن حبا كلفا ، ولا بغضك تلفاً . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : إذا أحببت فلا تكلف كما يكلف الصبى بالشىء يحبه ، وإذا أبغضت فلا تبغض بغضا تحب أن يتلف صاحبك ويهلك »(٧٥) .

وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : « أحبب حبيبك هونا ما ؛ عسى أن يكون بغيضك يوما ما ، وأبغض بغيضك هونا ما ؛ عسى أن يكون حبيبك يوما ما »(٧٦) .

---

(٧٥) رواه عبد الرزّاق فى مصنفه رقم ٢٠٢٦٩ والبخارى فى الأدب المفرد (١٣٢٢) والبغوى فى شرح السنة (١٣/٦٥) وقال الجيلانى : والكلف الولوع بالشىء ، مع شغل قلب ومشقة .

(٧٦) رواه البغوى فى شرح السنة (١٣/٦٥ ، ٦٦) عن على والبخارى فى الأدب المفرد (١٣٢١) وقال البغوى رحمه الله ورفعه بعضهم عن على وعن أبى هريرة والصحيح أنه=

وقال أبو الأسود الدؤلى :

وَأَحْبِبْ إِذَا أَحْبَبْتَ حُبًّا مُقَارَبَا
فَإِنَّكَ لَا تَدْرِى مَتَى أَنْتَ نَازِعُ
وَأَبْغِضْ إِذَا أَبْغَضتَّ غَيْرَ مُبَاينٍ
فَإِنَّكَ لَا تَدْرِى مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ

والمقصود الاقتصاد فى الحب والبغض ؛ فإن الإسراف فى الحب داعٍ إلى التقصير ، وكذلك البغض ، فعسى أن يصير الحبيب بغيضا ، والبغيض حبيبا ، فلا تكن مسرفا فى الحب فتندم ، ولا فى البغض فتأسف ؛ لأن القلب يتقلب فيندم أو يستحى .

قال بعض الحكماء : ولا تكن فى الإخاء مكثرا ، ثم تكون فيه مدبراً ، فيعرف سرفك فى الإكثار ، بجفائك فى الإدبار .

ويخشى مع ذلك مع فرط المحبة أن يوافقه على باطل ، أو يقصر معه فى واجب النصيحة لله عز وجل ، وقد تنقلب هذه المحبة إلى بغضٍ مفرط ، ويخشى عند ذلك إفشاء الأسرار ، وترك العدل والإنصاف .

وعن الحسن قال : أحبوا هونا وأبغضوا هونا ، فقد أفرط أقوام فى حب أقوام فهلكوا ، وأفرط أقوام فى بغض أقوام فهلكوا ... (٧٧) .

* **ومن آفات الصحبة** : أن يخالط هذه المحبة التى هى لله عز وجل وفى الله عز وجل شيء من هوى النفس ، فبدلا من أن يحب

موقوف على عليٍّ رضى الله عنه وهو فى الترمذى (٨/١٦٢) عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال أراه مرفوعا وقال الترمذى : هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه، وقال : والصحيح عن على موقوف قوله .

(٧٧) البغوى فى شرح السنة (١٣/٦٥) .

فى أخيه طاعته لله عز وجل والتزامه بالشرع ، يحبه لملاحة صورة أو لمنفعة كإصلاح دنيا ، وبدلا من أن يرجو بهذه المحبة ما عند الله عز وجل ، ويتقرب بها إليه ، يرجو بها استئناساً بشخصه ، أو تحقيقاً لغرضه ، وهذه المحبة سرعان ما تزول بزوال سببها ، أو بشىء من الجفاء ، فإنه ما كان لله بقى . كما يقال :

مَا كَانَ لله دَامَ وَاتَّصَلَ   وَمَا كَانَ لِغَيْرِ الله انْقَطَعَ وَانْفَصَلَ

قال الله عز وجل : ﴿ **ٱلأخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴾ [الزخرف : ١٧] .

وقال حاكيا عن خليله أنه قال لقومه : ﴿ **إِنَّمَا اتَّخَذْتُم من دُوْنِ الله أَوْثَاناً مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمّ يَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ** ﴾ [العنكبوت : ٢٥] .

فنسأل الله أن يجعل محبتنا لمن نحبه خالصة لوجهه الكريم ، ومقربة إليه وإلى داره دار السلام والنعيم المقيم ، وأن تكون عونا لنا على طاعته ، ودفعا لنا عن معصيته .

* **ومن آفات الصحبة** : الاستكثار من الإخوان ، حتى يعجز عن القيام بحقوقهم ومواساتهم عند حاجتهم واضطرارهم .

قال فى تنبيه المغترين: من أخلاق السلف رضى الله عنهم : أنهم لا يتخذون من الإخوان إلا من علموا من نفوسهم الوفاء بحقه ، فإن أخاك إذا لم توف بحقه كان فارغ القلب منك .

وقال ابن حزم رحمه الله[٧٨] : ليس شىء من الفضائل أشبه

(٧٨) مداواة النفوس (ص ٣٥ ، ٣٦) بتصرف - مكتبة الصحابة .

بالرذائل من الاستكثار من الإخوان والأصدقاء ، فإن ذلك فضيلة تامة مركبة ، لأنهم لا يكتسبون إلا بالحلم والجود والصبر والوفاء والاستضلاع والمشاركة والعفة وحسن الدفاع وتعلم العلم وكل حال محمودة ، ولكن إذا حصلت عيوب الاستكثار منهم ، وصعوبة الحال فى إرضائهم ، والغرر فى مشاركتهم ، وما يلزمك من الحق لهم عند نكبة تعرض لهم ، فإن غدرت بهم أو أسلمتهم لُؤِّمت وذممت ، وإن وفيت أضررت بنفسك ، وربما هلكت فيكون السرور بهم ، لا يفى بالحزن الممضِّ من أجلهم . اهـ باختصار

وقال عمرو بن العاص : كثرة الأصدقاء كثرة الغرماء .

وقال ابن الرومى :

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقكَ مُسْتَفَادٌ
فَلَا تَسْتَكْثِرَنَّ مِن الصِّحَابِ
فَإِنَ الدَّاء أَكْثَرَ مَا تَرَاهُ
يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ

ومن آفات الصحبة كذلك : كشف الستر عن الدين والمروءة والأخلاق والفقر وسائر العورات ، فإن الإنسان لا يخلو فى دينه ودنياه من عورات ، والأولى سترها ؛ كما مدح الله عز وجل المتسترين فقال : ﴿ **يَحْسَبُهُمْ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ** ﴾ [البقرة : **٢٧٣**] .

وقال الشاعر :

وَلا عارَ إنْ زَالَتْ عَنِ الحُرِّ نِعْمَةٌ
وَلَكِنَّ عَاراً أَن يَزُولَ التَّجَمُّلُ

عن الحسن قال : أردت الحجَّ فسمع ثابت البنانى بذلك ، وكان أيضا من أولياء الله فقال : بلغنى أنك تريد الحجَّ ، فأحببت أن أصحبك . فقال له الحسن : ويحك ، دعنا نتعاشر بستر الله علينا ، إنى أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه .

قلت : ويتأكد ذلك فى حق من يتصدى لوعظ الناس، فلا يكثر من صحبتهم ومخالطتهم فى فضول المباحات ، حتى ينتفعوا بوعظه ، ويتمتع بستر الله عليه ، مما يكره أن يطلع عليه الناس من ذنوبه وعيوبه ، نسأل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة .

ومن آفات الصحبة – وهذه خاصة بصحبة الأغنياء – ازدراء نعمة الله عليه وتحريك الطمع والحرص فى قلبه وقد لا يتيسر له فلا ينال إلا الغمَّ بذلك .

قال الغزالى رحمه الله [٧٩] :

إن من نظر إلى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه ، وانبعث بقوة الحرص طمعه ، ولا يرى إلا الخيبة فى أكثر الأحوال ، فيتأذى بذلك ، ومهما اعتزل لم يشاهد ، وإذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع ولذلك قال الله تعالى : ﴿ **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ** ﴾ [طه : ١٣١]

وقال ﷺ : « انظروا إلى من أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم » [٨٠] .

---

(٧٩) إحياء علوم الدين ص (١٠٦١) طبعة الشعب .

(٨٠) رواه مسلم (٩٧/١٨) الزهد والبخارى بمعناه (٣٢٢/١١) الرقاق من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

قال عون بن عبد الله : كنت أجالس الأغنياء ، فلم أزل مغموما كنت أرى ثوبا أحسن من ثوبى ، ودابة أفره من دابتى ، فجالست الفقراء فاسترحت .

ومن آفات الصحبة : الاشتغال بالإخوان عن تفريغ القلب للفكر والاستئناس بالله عز وجل الذى هو أول مطلوب القلوب وأعظم سبب لسعادتها ونجاتها وقد قيل : الاستئناس بالناس من علامات الإفلاس .

قال بعض الحكماء[٨١] : إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة ، فيكثر حينئذ ملاقاة الناس ، ويطرد الوحشة عن نفسه بالكون معهم ، فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ، ليستعين بها على الفكرة ، ويستخرج العلم والحكمة .

---

(٨١) إحياء علوم الدين ص (١٠٤٩) .

مراجع الرسالة

١ – القرآن الكريم .

٢ – الجامع لأحكام القرآن– للقرطبى – طبعة الشعب

٣ – تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – دار المعرفة – بيروت

٤ – أضواء البيان – للشنقيطى – سلسلة السلفيون يتحدثون

٥ – فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى – السلفية

٦ – مسلم بشرح النووى – المطبعة المصرية

٧ – عون المعبود شرح سنن أبى داود – الكتبى بالمدينة المنورة

٨ – عارضة الأحوذى شرح جامع الترمذى – دار الوحى المحمدى

٩ – تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى – الكتبى بالمدينة المنورة

١٠ – سنن النسائى شرح السيوطى وحاشية السندى – دار الكتب العلمية

١١ – مسند الإمام أحمد بفهرس الألبانى – المكتب الإسلامى

١٢ – مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر – دار المعارف

١٣ – سنن الدارمى – دار الكتب العلمية

١٤ – فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد للجيلانى – المكتبة السلفية

١٥ – مصنف عبد الرزّاق– المكتب الإسلامى

١٦ – جامع الأصول لابن الأثير تحقيق عبد القادر الأرناؤوط – دار الفكر

١٧ – شرح السنة للبغوى تحقيق شعيب الأرناؤوط – دار بدر

١٨ – مجمع الزوائد – لابن حجر الهيتمى – دار الكتاب العربى

١٩ – صحيح الجامع – للألبانى – المكتب الإسلامى

٢٠ – السلسلة الصحيحة – للألبانى – المكتب الإسلامى

٢١ – إحياء علوم الدين – للغزالى بتحقيق العراقى – الشعب
٢٢ – المدهش لابن الجوزى – دار الكتب العلمية
٢٣ – روضة العقلاء لابن حبان البستى بتحقيق حامد الفقى – السنة المحمدية
٢٤ – عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة لابن هذيل – دار الكتب العلمية .
٢٥ – جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى – الحلبى .
٢٦ – لطائف المعارف لابن رجب الحنبلى – دار الجيل .
٢٧ – ديوان الشافعى – مكتبة الكليات الأزهرية .
٢٨ – مناقب الشافعى للرازى – مكتبة الكليات الأزهرية .
٢٩ – تنبيه المغترين للشعرانى .
٣٠ – موارد الظمآن فى دروس الزمان للسلمان – الطبعة الثالثة عشرة .
٣١ – الأخوة الإسلامية لعبد الله ناصح علوان – دار السلام .
٣٢ – مداواة النفوس لابن حزم – مكتبة الصحابة .
٣٣ – معانى الأخوة – د . محمود محمد بابللى – رابطة العالم الإسلامى .
٣٤ – نفائس الحُله فى التآخى والخُله لعدنان سالم الرومى وعلى صالح الهزاع – مكتبة المنار الإسلامية .
٣٥ – كتاب زلال قراح الألباء فى مهيع حكماء الألباء لمحمد بن عبد الله ابن هاشم الموريتانى – مكتبة المعرفة .
٣٦ – الفوائد – لابن القيم – دار الدعوة بالإسكندرية .
٣٧ – طوق الحمامة فى الألفة والألاف لابن حزم – المكتبة الحسينية .
٣٨ – الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى لابن القيم – دار عمر بن الخطاب .

فهــرس الرســـالة